جامعة عبد الرحمان ميرة – بجاية
كلية الآداب و اللغات
قسم اللغة العربية و آدابها

القراءات القرآنية و دورها في نشأة الدرس اللغوي العربي

بحث مقدم لاستكمال نيل شهادة الماستر في الأدب العربي
تخصص: علوم اللسان

إعداد الطالبتين:

قريشي سهام

إخلف رحمة

إشراف الأستاذ:

زيان محمد

السنة الجامعية: 2014-2015

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة شكر:

لله عز وجل الشكر، قبلا و بعد، على عونه و توفيقه و ما أصدق الشاعر الذي قال:

إذا لم يكن عون الله للفتى * * فأول مايجني على إجتهاده .

ثم إلى أستاذنا الكريم زيان محمد الذي مهد لنا الطريق و سهل لنا سبل العلم و المعرفة

و ساعدنا على إتقان بحثنا بأكمل وجه.

أهدي هذا العمل المتواضع إلى:

- قرّة عيني أمي، و نور دربي أبي.
- إخوتي: نبيل و عبد الحكيم.
- أخواتي: نوال، خليصة، وردة.
- ابنة أخي: -رحمه الله- إيمان و ابنا أختي ريان و نعيم.
- زوجي الغالي: ياسين و أمّه.
- صديقاتي: رحمة، نجاه، فهيمة. ساسية، فضيلة.
- أساتذتي الذين علموني طوال المشوار الدراسي و كل الطلبة.
- أستاذنا المشرف: زيان محمد الذي لم يبخل علينا بتوجيهه و نصحه.

سهام

أهدي هذا العمل المتواضع إلى:

- كل من مدّ لنا يد العون في إعداده.
- والدي الكريمين اللذين اولياني رعايتهما و حثاني على الدراسة.
- كل من ساعدني في اخراج هذه المذكرة.
- كل إخوتي و اخواتي.
- زوجي العزيز سمير.
- صديقاتي: سهام، صليحة، زينة، قرمية، أحلام ، ذهبية، وسام، حسينة.
- أساتذتي الأفاضل و كل الطلبة.
- أستاذنا المشرف: زيان محمد الذي لم يبخل علينا بتوجيهه و نصحه.

رحمة

مقدمة

مقدمة:

لقد ارتبطت الدّراسات اللّغوية بالقرآن الكريم منذ نشأتها إلى يومنا هذا، فكانت اللّغة العربية و علومها من الوسائل التي يركز عليها لفهم التنزيل، إذ بها نزل، و على أحرفها أُقِرُّ، فنالت بذلك شرفاً عظيماً، و قدراً كريماً، بالإضافة إلى أن الدّراسات اللّغوية اعتمدت على القرآن الكريم مستشهدة به في فرز اللّغة، فكان مصدراً من مصادر حفظها من الضياع.

و نظراً لأهمية هذا النوع من الدراسات وقع اختيارنا على موضوع: "القراءات القرآنية و دورها في نشأة الدّرس اللّغوي العربي" رغبةً منّا في الاهتمام بجانب من جوانب علوم اللّغة.

اما عن أسباب اختيارنا هذا الموضوع فميلنا الشديد للدّراسات القرآنية، و ما يرتبط بها من علوم، و رغبتنا الشديدة في طلب العلم و المعرفة، فكان أن اقترح علينا أستاذنا المشرف دراسة الجانب اللّغوي في القراءات القرآنية.

و لقد قسمنا بحثنا هذا وفقاً لطبيعة الموضوع إلى فصلين. تناولنا في الفصل الأول مصدراً من مصادر البحث اللّغوي العربي و هو القرآن الكريم، ثم تناولنا مفهوم بعض المصطلحات حول القرآن الكريم، كالذّكر، و القرآن، و الكتاب، و الفرقان، و الحكمة من نزوله منجماً، كما تناولنا الفرق بين لغة القرآن و لغة العرب، و استخراج بعض المفردات القرآنية غير العربية، و بيان معانيها و دلالاتها، كما تناولنا أيضاً في هذا الفصل، بعض العلوم المستنبطة من القرآن الكريم، واقتصرنا بذكر ثلاث علوم، و هي: علم النحو، علم البلاغة، و علم الأصوات.

أمّا الفصل الثاني فقد تناولنا فيه القراءات القرآنية، نشأتها، تطورها و أهميتها، و أسباب ظهورها و أنواعها، لنجعل القارئ على دراية بمدونة الدراسة التي استعملناها. كما تطرقنا إلى بيان الفرق بين

القرآن و القراءات، و كذلك أسباب اختلاف اللهجات و تعدد القراءات. و في هذا الفصل تحدثنا عن الأحرف السبعو علاقاتها بالقراءات المتواترة. فعرفنا معنى الحرف، والمقصود بالسبعة، وذكرنا المظاهر اللغوية في القراءات المتواترة و بما أن القراءات القرآنية متعلقة كثيرا بالجانب النحوي، فإننا سعينا إلى ذكر مظاهر تأثير القراءات القرآنية في النحو، و سنحاول في هذا البحث الإجابة عن بعض الأسئلة منها. ما علاقة علم القراءات بالتأسيس و التععيد للنحو العربي؟ و البلاغة العربية بعلمها الثلاثة: المعاني، و البيان، و البديع؟ و كيف كان القرآن الكريم بقراءته المختلفة مهما لهذه العلوم؟

و تجدر الإشارة هنا إلى أننا لم نعتمد طريقة الإقصاء و الحصر، إنما عمدنا لاختيار مجموعة من النماذج تخدم ما كنا نسعى وراءه.

و لقد جعلنا مدونة الدراسة محصورة في القراءات المتواترة، فكان المنهج المناسب لهذه الدراسة هو المنهج التحليلي المقارن الذي مكننا من مقارنة الصيغ في مختلف القراءات القرآنية واستخلاصها. لقد اعتمدنا أثناء انجازنا لهذا البحث على مجموعة من المراجع كانت لنا العون في الولوج إلى الموضوع و فهمه منها: "البذور الزاهرة" لـ "أبو حفص"، و "الكافي في القراءات السبع" لـ "أبي عبد الله محمد بن شريع الرعيني"، و "المحتسب" لـ "ابن جني"، و "اتحاف فضلاء البشر" لـ أحمد بن محمد البنا".

و إذا كان من سنن البحث أن تعترضه صعوبات تحول دون اعتناء الباحث بكل جوانب بحثه بالقدر الذي يرضيه، فإن أهم ما أعاقنا ضيق الوقت، قلّة المصادر و المراجع و انتقالنا من مكتبة إلى أخرى، و من زاوية قرآنية إلى أخرى، حتى صادفنا إماماً من الأئمة -حفظه الله- كانت لديه

بعض الكتب المتعلقة بهذا الموضوع، و لم يبخل علينا -جزاه الله خيرا- و زوّدنا بها، و هي التي اعتمدنا عليها في هذا البحث.

و في الختام نتقدم إلى كل أساتذتنا الكرام الذين علّمونا طوال مشوارنا الدراسي بالشكر الجزيل على ما قدّموه لنا من علم و معرفة و أخصّ بالذكر الأستاذ المشرف زيان محمد.

الفصل الأول

تمهيد :

لقد كان العرب في الجاهلية أهل فرقة وصراع، واختلاف في الديانات، واللّهجات فجاء الإسلام ليخرجهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، الذي خصّ العرب بشرف هذه الرّسالة، فجمع شملهم، ووحد دينهم، ومن رحمته بهم أن أنزل القرآن على عدّة أحرف تسهيلا لتلاوته وفهمه.

وعند توسّع الفتوحات الإسلامية، كثر الداخلون في الإسلام من الأعاجم، فتفشّى اللّحن في الألسنة، ومخافة أن يتفشّى هذا اللّحن أكثر، وينتقل إلى القرآن، سارع أهل الغيرة على الإسلام لجمع اللّغة لوضع القواعد التي تصون السنة النّاس عن الخطأ في لغة العرب، فكان أول من وضع قواعد النّحو "أبو الأسود الدؤلي"، و هذا باتفاق المؤرّخين.

فوجد فضل القرآن الكريم في حفظ اللّغة العربية من الضياع، و صيانتها من الخطأ والتشويه، والتحرّيف، حيث كان جُماع اللّغة، و وُضّاع القواعد يستشهدون بالقرآن على ما يستنبطونه من قواعد، فعلم اللّغة العربية من نحو وصرف، وبلاغة وفقه، وكذا علم الأصوات وغيرها من العلوم مستنبطة من القرآن الكريم شرحا لمفرداته ، و تفسيرا لمعانيه فالقرآن معجز من كل الوجوه.

القرآن الكريم مصدر البحث اللغوي العربي:

القرآن الكريم هو دستور المسلمين في حياتهم، وقد أنزله الله سبحانه وتعالى على رسوله منجماً متتابعاً، أفحم الفصحاء، وأخضع أعناق البلغاء، ويعتبر المنبع الأصيل، والمنهل الصافي، وكتاب العرب الخالد، ويعد أساس المصادر لدى اللغويين حيث يمثل أفصح لغة، وأبلغ تعبير، فهو يمثل ذروة في البلاغة.

وبذلك يكون القرآن الكريم الأساس والمصدر الذي قامت عليه الدراسات اللغوية والنحوية عند البصريين والكوفيين، فأجمعوا على الاستشهاد به حفاظاً على متانة الألفاظ العربية وصيانة الأسلوب من كل زيغ، خصوصاً بعد أن دخل الأعاجم واختلطوا بالعرب، وتفشي ظاهرة اللحن، حيث وقف اللغويون ضدها، ولم يتساهلوا في هذا الشأن، لأنه قد تحزف الآيات القرآنية ومن ثم تحريف الألفاظ الأخرى، وضياح العربية¹.

ولهذا كانت قراءة القرآن ملزمة لمن يدخل الإسلام، وبعد أن تطورت الحياة العلمية، وزاد عدد المتعلمين ظهرت القراءات القرآنية، حيث وصل إلينا القرآن الكريم بهذه القراءات و التي سنتحدث عنها في الفصل الثاني.

¹- ينظر : محمد اسماعيل ابراهيم، معجم الألفاظ الأعلام القرآنية، دار الفكر، ص06.

أولاً: مصطلحات و مفاهيم حول القرآن الكريم:

للقرآن الكريم أسماء كثيرة تفهم من آيات شتى، تحدثت عنه من بين هذه الأسماء نجد:

1-القرآن: إنَّ لفظ القرآن مشتق من مادة " قرأ "، و هو مصدر بمعنى القراءة¹.

القرآن بمعنى الجمع، و يقال: (قرأت المادة في الحوض) أي: جمعته²، لأن القرآن يجمع السور والآيات.

و قال "أبو عبيدة معمر بن المثنى" (ت210هـ)، في كتابة "مجاز القرآن": "إنماسمي

قرآنا لأنه يجمع السور و يضمها، قال تعالى: "إنَّ علينا جمعه و قرآنه" [القيامة:17]³.

فالقرآن سمي بهذا الاسم لكونه جامعاً للسور والآيات، والأحكام والأخبار، أو لكونه مجموعاً

في المصاحف والصدور، أو لأنه جامع لثمرة الكتب السابقة، أو لجمعه فنون المعاني والحقائق والحكم والأحكام، والعلوم⁴.

2-الذِّكْر: من بين أسماء القرآن نجد الذِّكْر، قال تعالى: "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ"

[الحجر:09]، وقد سمي بالذكر باعتباره نوعاً من أنواع العبادات، التي تعتمد على ذكر الله

تعالمن خلال قراءة القرآن.

و قد تكفل الله عزَّوجلَّ بحفظه، وصونه من التشويه و التحريف في قوله تعالى: "وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ

."

¹- نبيل بن محمد بن ابراهيم آل اسماعيل، علم قراءات، نشأته، أطواره، أثاره في العلوم الشرعية، ط1، ص16.

²- السيد رزق الطويل، في علوم القراءات، ط1، ص15.

³- أبو عبيدة معمر بن المثنى، مجاز القرآن، ج1، ص1.

⁴- ينظر : نبيل بن محمد بن ابراهيم آل اسماعيل، علم القراءات، ص17.

3-الكتاب: قال تعالى: "ذلك الكتابُ لا ريبَ فيه" [البقرة:02]، يقول "محمد عبد الله الدّراز" في كتابه "النبأ العظيم": "روعي في تسميته كتابا كونه مدونا بالأقلام"¹، فيجب حفظه في الصدور والسطور، والقرآن الكريم كتاب من شأنه أن يُقرأ ويُتلى، فكان كلّما نزلت آية يكتبونها على الجريد والعظم، ورقيق الحجارة، وقطع الجلید، لذلك سمي بالكتاب.

4- الفرقان: قال تعالى: "تبارك الذي نزل الفرقان على عبده" [الفرقان:03] القرآن الكريم نزل مفردا منجما، ولم ينزل جملة واحدة، لعدّة حكم، "وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث و نزلناه تنزيلا" [الإسراء:106]، فالقرآن كان ينزل مفردًا بحسب الحوادث، ومقتضيات الأحوال تبعاً لحاجة المسلمين إلى التشريع، لذلك سمي بالفرقان.

ومن هنا فالعلم الغالب، السائد، المشهور إطلاقه على الكتاب الحق هو القرآن²، وهو الاسم الذي اختاره الله له، وسمّاه به، و تحدث عنه على ضوءه، ويبدو هذا من خلال هذه الآيات: "ص

والقرآن ذي الذكر" [ص:01]، "ورتل القرآن ترتيلاً" [المزمل:04]

"شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن" [البقرة:185].

¹- محمد عبد الله الدّراز، النبأ العظيم، دار العلم الكويت، ص12-13.

²-السيد رزق الطويل، في علوم القراءات، ط1، ص14.

1-1-الحكمة من نزول القرآن الكريم منجماً:

قبل أن نتحدث عن الحكمة من إنزال القرآن الكريم منجماً متتابعاً، يجب أن نشير إلى بعض

النقاط المهمة منها: معرفة سبب النزول، و كيفية إنزاله.

نزل القرآن الكريم على قسمين¹:

-قسم نزل إبتداءً.

-قسم نزل عقب واقعة أو سؤال.

فلا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها، وبيان نزولها، فبيان سبب النزول طريق

قوي في فهم معاني القرآن، فبمعرفة السبب يعيننا على فهم الآية وإزالة الإشكال.

ومن أمثلة ذلك:

حكى عثمان بن مظعون، وعمرو بن معدي كرب أنهما كانا يقولان الخمر مباحة، ويحتجان

بقوله تعالى: " لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا" ، ولو علماً سبب

نزولها لم يقولوا ذلك، وهو أن ناساً قالوا لما حرمت الخمر، كيف بمن قتلوا في سبيل الله و ماتوا،

وكانوا يشربون الخمر و هي رجس؟، فنزلت.

قال الواحدي: "لا يحل القول في أسباب نزول الكتاب، إلا بالرواية و السماع ممن شاهدوا التنزيل،

ووقفوا على الأسباب و بحثوا عن علمها" فمعرفة سبب النزول هو النقل الصحيح عن الصحابة-

رضوان الله عليهم- الذين عاصروا النزول، ووقفوا على الوقائع و سمعوا المسائل و لا مجال للعقل

فيه إلا بالترجيح بين الروايات أو الجمع².

¹- جلال الدين السيوطي، الاتقان في علوم القرآن.

²- المرجع السابق.

أما بالنسبة لكيفية إنزاله، فقد نزل القرآن الكريم على رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، وهو يتعبد في "غار حراء" و كان ذلك في ليلة القدر، "إنا أنزلناه في ليلة القدر" [القدر:01]، وهي إحدى ليالي شهر رمضان المعظم "شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن" [البقرة:185]، فنزل في هذه الليلة جملة واحدة، ثم نزل بعد ذلك منها في عشرين سنة، أو ثلاثة عشرين سنة، على حسب الخلاف في مدة إقامته صلى الله عليه وسلم بمكة بعد البعثة، وهذا ما اتفق عليه الفقهاء¹.

كان أول ما أنزل منه قوله تعالى: "اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ و ربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم" [العلق:01-05]، وذلك بواسطة جبريل عليه السلام، وتوالى نزوله بعد ذلك مفرقا "و قرآنا فرّقناه لتقرأه على الناس على مكث" [الإسراء:106].

وقد استمر نزوله مدة ثلاثة و عشرين سنة، فقد روى "البخاري" عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال: "بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم لأربعين سنة، فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه، ثم أمر بالهجرة عشر سنين، و مات و هو ابن ثلاث و ستين"، و قد أخبر الله عزَّ وجلَّ باكتمال نزول القرآن الكريم وذلك في قوله تعالى: "اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً" [المائدة:03].

لقد كان نزول القرآن الكريم مفرقاً لحكم عديدة، منها²:

1- تثبيت فوائد النبي صلى الله عليه وسلم: فقد عرفنا من خلال السيرة النبوية ما لاقاه النبي صلى الله عليه وسلم من أذى قومه، وإصرارهم على الشرك، فكان تتابع نزول الوحي طمأنة لقلبه

¹- ينظر : جلال الدين السيوطي، الإتيقان في علوم القرآن.

²- ينظر: محمد اسماعيل ابراهيم، معجم الألفاظ و الأعلام القرآنية، دار الفكر، ص08.

بما يقصّ عليه من أنباء الرسل السابقين، وما لاقوه من أذى وجحود، لقوله تعالى: "و كلاًّ نقصُ عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك" [البقرة:185].

ومواساةً له حين يضيق صدره بهذا الجحود و الكنود، فيتجدد الوحي، و دوام اتصاله به يملأ قلبه سروراً و يقيناً.

فقد بيّن القرآن هذه الحكمة، و هو يرد على مزاعم المشركين: "و قال الذين كفروا لولا أنزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك نثبت به فؤادك" [الفرقان:32].¹

2- تأييد الرسول صلّى الله عليه وسلم بالوحي: القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة لنبي الله محمد صلّى الله عليه وسلم، وقد حاول اليهود و النصارى أن يطفئوا نور الله، بما يتحدون به الرسول صلى الله عليه وسلم من الأسئلة برهاناً على صدق رسالته، فقد حدث أن قريشاً أرسلت إلى أحنبار اليهود بالمدينة تسأل عن أمر الرسول صلّى الله عليه وسلم، فقالوا لهم: "سلوه عما نأمركم به، فإن أخبركم فهو نبي مرسل، وإلا فرجل منقول: سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم، قد كان لهم حدث عجيب، وسلوه عن رجل طوّف بلغ مشارق الأرض ومغاربها مكان نبؤه؟" فسألوا الرسول صلى الله عليه و سلم، فنزلت سورة الكهف تقص نبأ هؤلاء الفتية، و تتحدث عن ذي القرنين.²

وأخرج البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما - قال: كنت أمشي مع النبي صلّى الله عليه و سلم بالمدينة، فمرّ نفر من اليهود فقال بعضهم: لو سألتموه؟، فقالوا: حدّثنا عن

¹- ينظر: محمد اسماعيل ابراهيم، معجم الألفاظ و الأعلام القرآنية، دار الفكر، ص09.

²- ينظر: المرجع السابق، ص09.

الرُّوح، فقام ساعةً ورفَّع رأسه، فعرفت أنَّه يوحي إليه، ثم قرأ: "و يسألونك عن الرُّوح قل الرُّوح من أمر ربي وما أوتيتم العلم إلا قليلاً" [الإسراء:85].

3- تكوين المجتمع الإسلامي وتربية أفرادهِ والتدرُّج في تربية هذه الأمة تحلياً وتخلياً ومسايرة الحوادث، فإدمان الخمر مثلاً كان من عادات الجاهلية، و لكن بعد أن غرس القرآن الكريم العقيدة الصحيحة في قلوبهم، أعطاهم التصور الصحيح للحياة.

وفي ضوءه بدأ الخمر أمر تسمُّز منه النفوس المؤمنة، التي تطلعت إلى بيان حكمة، و أخذت تتساءل عنه، فنزل قوله تعالى: "و يسألونك عن الخمر و المسير قل فيهما إثم كبير ومنافع للنَّاسِ و إثمهما أكبر من نفعهما" [البقرة:117]، ففي هذه الآية الكريمة تقرير لما في الخمر من ضرر ليقرر هذا في تصورهم، حيث يلمسونه في حياتهم، فالخمر تمنع المسلم من مناجاة ربه في الصلاة، لأن شاربها يكون في حالة سكر، لا يعرف ما يقول في صلاته "يا أيُّها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة و أنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون" [النساء:43].¹

¹- ينظر : جلال الدين السيوطي، الإتيقان في علوم القرآن.

1-2- الفرق بين لغة القرآن و لغة العرب:

لقد نزل القرآن الكريم باللّغة العربية، قال تعالى: " و هذا لسان عربي مبين" [النحل:103]، "و كذلك أنزلناه قرآنا عربيا" [طه:113]، و جلّ كلمات القرآن نزلت وفق لهجة قريش، و لا غرابة في هذا، فالرسول صلّى الله عليه و سلم قرشي، و لهجة قريش لهجته، و عليها عاداته في الأصوات و نواحي اللّغة الأخرى¹.

فنزول معظم القرآن بها مناسب، ما دام الله تعالى قد اختار خاتم رسله من بين المتكلمين بهذه اللهجة يشير إلى أن لهجة قريش كانت -قبل نزول القرآن بها- أفصح اللهجات العربية وأوسعها انتشاراً وذلك لمنزلة قريش الدّينية، والاقتصادية، مما جعلها مفهومة لدى أصحاب اللهجات العربية الأخرى.

فلسان النبي صلى الله عليه وسلم هو العربية عامة، و لهجة قريش خاصة، لذا فقد أنزل القرآن بلغة قريش، و يؤيّد هذا الرأي قوله تعالى: " و ما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه" [ابراهيم:04].

ولغة العرب هي ما جرى عليه عاداتهم من الإدغام، و الإظهار، و الفتح، و الإمالة، و التفخيم، و الترقيق، و الإشمام، و الإتمام، و الهمز، و التليين، و غير ذلك².

كما كان للقبائل الأخرى لهجات مثل: هذيل، و تميم، و قيس، و طيّ، و أسد، فصعب على قسم منهم نطق القرآن نطقا مطابقا للهجة قريش و ذلك لأن ألسنتهم اعتادت النطق بلهجات قبائلهم، و من

¹ - ينظر : حاتم الضامن، بيان السبب الموجب لاختلاف القراءات، و كثرة الطرق و روايات، ج1، ص128.

² - توفيق ابراهيم ضمرة، أحسن البيان، شرح طرق الطيّبة برواية حفص بن سليمان، ط1، ص10.

رحمة الله لعباده أن أنزل القرآن بسبعة أحرف، لأنه يتعذر على شخص الانتقال من لغته التي اعتاد عليها إلى لغة أخرى¹، فأراد الله، برحمته و لطفه، أن يجعل لعباده متسعاً في اللغات و متصرفاً في الحركات.

1-3- المفردات القرآنية غير العربية، معانيها و دلالاتها:

لقد اختلف الأئمة في وقوع المعرب في القرآن الكريم فنجد منهم²: الإمام الشافعي، وابن جرير، وأبو عبيدة، واستدلوا بذلك قوله تعالى: "قرآنا عربيا" [طه:113]، وأيضا: "ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته" [فصلت:44].

قال أبو عبيدة: إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين.

وقال بن أوس: لو كان فيه من لغة غير العرب شيء لتوهم متوهم أن العرب إنما عجزت عن الإتيان بمثله، لأنه أتى بلغات لا يعرفونها وقال آخرون: كل هذه الألفاظ عربية صرفة، ولكن لغة العرب متسعة جداً، ولا يبعد أن تخفي على الأكابر الجلة³.

فاللغة العربية حسب هذه الأقوال، هي أوسع اللغات، و أكثرها ألفاظاً، كيف لا و هي لغة أعظم كتاب أنزل على البشرية جمعاء.

والقرآن الكريم يحوي علوم الأولين والآخرين، ونبأ كل شيء، فلا بد أن تقع فيه الإشارة إلى أنواع اللغات، و الألسن ليتم إحاطته بكل شيء، و النبي صلى الله عليه و سلم مرسل إلى كل أمة فمن المعقول أن يكون في الكتاب المبعوث به من لسان كل قوم، و إن كان أصله بلغة قومه هو.

¹- ينظر: توفيق إبراهيم ضمرة أحسن البيان شرح طرق الطيبة ، ص09.

²- جلال الدين السيوطي، الإتقان في علم القرآن.

³- المرجع السابق.

فمن المفردات غير العربية نذكر منها¹:

- الأرائك: قال تعالى: "مَتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ" [الكهف:31] أرك بالمكان

يأرك: أقام به، والأريكة: مقعد منجد، سرير يجلس عليه و يكون محوطا بالستائر والزينة،
أوكل ما اتكى عليه من سرير أو فراش والجمع أرائك. "هم و أزواجهم في ظلال على الأرائك
مَتَّكُونَ" [يس:56].

- البرزخ: الحاجز بين الشيين، و الحاجز بين الموت و البعث، فمن مات فقد دخل البرزخ،
قال تعالى: "ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون" [المؤمنون:100]، أي حاجز يمنعهم عن الرجوع
إلى الدنيا.²

- جهنم: مكان العذاب الأبدي، ودار العقاب بالنار يوم القيامة، يدخلها الكافرون، المكذبون
بيوم الدين، وهذا اللفظ عبري يكون من: جي أي واد وهنم، أي الهمس والأئين يعني وادي البكاء
والعذاب³، قال تعالى: "و إذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم" [البقرة:26]

- الدرهم: قطعة من فضة مضروبة للمعاملة، و الكلمة من المعرب، و أصلها بالفارسية
(درم)، و باليونانية (دراخمة)، ثم عربت إلى درهم، و جمعها (دراهم)⁴، "و شروه بثمن بخس دراهم
معدودة" [يوسف:20].

- السَّجَل: الصحيفة أو القرطاس الذي يدوّن فيه ما يراد حفظه، أو هو الكاتب، والسَّجِيل: حجارة
من طين متحجر، أو هو واد في جهنم، أصلها فارسية¹. "يوم تُطوى السماء كطيّ السَّجَل لا كتب"
[الأنبياء:104]. "و أمطرنا عليها حجارة من سَجِيل منضود" [هود: 82].

¹- محمد اسماعيل ابراهيم، معجم الألفاظ و الأعلام القرآنية، دار الفكر، القاهرة ص09.

²- المرجع السابق، ص63.

³- المرجع السابق، ص109.

⁴- المرجع نفسه، ص172-173.

- سندس: مارق من الحرير، فارسي معرب²، "ويلبسون ثياباً خضراً من سندس" [الكهف:31].

-عدن: عدن بالمكان: أقام به واستقرّ، و جنّات عدن: جنّات إقامة واستقرار، واطمئنان، أو

اسم لمكان مخصوص في الجنّة، وقيل إنّها رومية أو سريانية³. "ومساكن طيبة في جنّات عدن" [التوبة:72].

- الفردوس: البستان الجامع لكل ما يكون في البساتين، أو هو المكان الذي تكثر فيه

الكروم، وهو اسم الجنّة من أعلى جنّات النعيم العظيم في الآخرة، الكلمة معربة عن الرومية⁴، "كانت لهم جنّات الفردوس نزلاً" [الكهف:107].

- القرطاس: الصحيفة أو الورقة، ونحوها يكتب فيها، و الجمع قرطيس⁵ "تجعلونه قرطيس

تبدونها و تخفون كثيرا" [الأنعام:91].

- القسطاس: أضبط الموازين وأقومها، لا يعتريه خلل ولا عوج، أصلها رومية مأخوذة من

(ديقاس)⁶، "وزنوا بالقسطاس المستقيم" [الإسراء:35].

- يس: تُقرأ ياسين، وهي من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه، وقيل اسم للسورة، أو للقرآن

أو للرسول صلى الله عليه وسلم⁷، "يس و القرآن الحكيم انك لمن المرسلين" [يس:01]،

وهي كلمة معربة أصلها بالرومية.

ثانيا: العلوم المستنبطة من القرآن الكريم :

¹- محمد اسماعيل ابراهيم، معجم الالفاظ و الأعلامالقرآنية دار الفكر القاهرة ص234.

²- المرجع السابق، ص254.

³- المرجع نفسه، ص333.

⁴- المرجع نفسه، ص63.

⁵- المرجع السابق، ص422.

⁶- المرجع السابق، ص524.

⁷- المرجع نفسه، ص593.

القرآن الكريم جبل الله المتين، المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بإعجازه وبيانه
وبديعه، فهو رأس العلوم و المعارف الإسلامية، فقد اهتمّ به العلماء و اللّغويون مخافة من تسرب
اللّحن و الفساد إليه، بسبب اختلاط العرب بالأعاجم، ودخول الأعاجم في الإسلام، فدرسوه
ووضعوا قواعد وضوابط للغة العربية، ومنه استنبطوا حكم وأحكام، وعلوم لغوية، منها: بلاغية لما
فيه من جزالة اللفظ، و بديع النّظم، وحسن السياق، والتلوين في الخطاب، والإطناب، والإيجاز
وغير ذلك، ومنها نحوية من خلال اعتناء النّحاة بالمعرب منه، والمبني من الأسماء والأفعال
والحروف العاملة، وإعراب القرآن حرف بحرف، وكلمة بكلمة إلى ذلك.
ونجد منها أيضا علم الأصوات حيث اعتنى العلماء بمخارج الحروف، وطريقة نطقها، وصفتها
وغيرها من العلوم المستنبطة من القرآن الكريم¹.

سنذكر هذه العلوم التي ذكرناها آنفاً باختصار وإيجاز:

¹- ينظر : جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن.

2-1- علم النحو:

يعتبر القرآن الكريم مصدرًا للقياس النحوي، ويعد علم النحو أول علم تفتّرت عليه المدارس اللغوية وكان أساس الدراسات العربية بعد ذلك.

يعرفه ابن جني في كتابه "الخصائص": "هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه، من إعراب وغيره، كالتثنية والجمع، والتصغير والتكسير، والإضافة والنسب، والتركيب، وغير ذلك، ليلحق من ليس من أهل اللغة بأهلها في الفصاحة، فينطق بها ما لم يكن منها"¹.

فابن جني يقصد بقوله هذا أنّ النحو هو دراسة التركيب اللغوي، حروفًا وأسماءً وكذلك أفعالاً وجملاً، ليلحق من ليس من أهل اللغة بأهلها، ويكون النحو معيارًا للخطأ والصواب فيها، وبهذا تسهّل على غير العربي تعلم العربية بالعودة إلى قواعد وأحكام هذا العلم.

وقد ظهر هذا العلم للحفاظ على القرآن الكريم من تسرب اللحن إليه، فاعتنى النحاة للمعرب والمبني من الأسماء والأفعال، وأوسعوا الكلام في الأسماء وتوابعها، وضروب الأفعال، واللازم، والمتعدي، وإعراب كلمات القرآن كلمةً بكلمة، و حرفًا بحرف، و بهذا وضعوا قواعد و ضوابط للغة العربية، و يستشهدون في قواعدهم بالقرآن الكريم، مثل قاعدة العلامات الإعرابية الأصلية، وهي ما يرمز بها عن حالات الإعراب الأساسية، وتكون في آخر الكلمة إما ظاهرة أو مقدرة²، وهي:

- الضمة للرفع: في قوله تعالى: "لَنْ يَسْتَكْفَرَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَ لَا الْمَلَائِكَةُ

المقربون" [النساء:171].

- الفتحة للنصب: قال تعالى: "كشَفَ الضَّرَّ عَنْكُمْ" [النحل:45].

¹ - ابن جني، الخصائص، ط1، ج1، ص88.

² - ينظر: عزيزة فوال بابتي، المعجم المفضل في النحو العربي، ج1، ط2، ص657-685.

- الكسرة للجرّ: في قوله تعالى: "و أولوا الأرحام بعضهم أولي بعض في كتاب الله من المؤمنين و المهاجرين" [الأحزاب:06]، والسكون دليل عدم وجود حركة في حالة الجزم كقوله تعالى: "فمئعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره" [الزلزلة: 7-8]-

2-2- علم البلاغة:

علم البلاغة من أهم العلوم التي تهتم بدراسة الألفاظ القرآنية، فهو العلم الذي يبحث في المعنى الحقيقي والمجازي للكلمات والجمل، فيعطي لهذه الأخيرة معنا لكونه يهتم بدراسة الأساليب الإنشائية والخبرية، ويهتم بدراسة الاستعارات بأنواعها، والتشبيه بأنواعه أيضاً.

ولهذا جاء كلام القرآن الكريم بليغاً في ألفاظه ومعانيه، فهو علم يتميز بجزالة اللفظ، فألفاظه سهلة تؤدي معنى واضحاً، وهو بديع النظم تكثر فيه المحسنات البديعية مثل: الطباق، والجناس والسجع، فكلها تعمل على توضيح المعنى و تقويته.

وتنقسم البلاغة إلى علومها الثلاثة، وهي: علم المعاني، علم البيان، علم البديع، والقرآن الكريم أفضل وأحسن مثال في البلاغة وعلومها، فمثلاً في علم المعاني الذي يبحث في بناء الجمل وتنسيق أجزائها تنسيقاً يطابق مقتضى حال الكلام، نجد من بين ما يدرسه هذا العلم، الوصل ويقصد به عطف جملة على جملة أخرى بالواو، ونحوها لإشراك المعطوف والمعطوف عليه بالحكم، نحو قوله تعالى: "فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً" [التوبة:82] حيث اتفقت الجملتان في الإنشاء مع المناسبة التامة بين المفردات، لذلك وصل بينهما بالواو العاطفة¹.

¹- ينظر : راجي الأسمر، علوم البلاغة، دار الجيل، 2005، ص72.

كما نجد أيضا علم البيان الذي "يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه"¹، ومن بين ما يدرسه هذا العلم، نجد التشبيه مثل قوله تعالى: "خُشَعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ" [القمر:07]، فالمشبه هو الخلائق في هذا اليوم والمشبه به الجراد مقيّدًا بهذه الصفة، أي بكونه منتشرًا، ووجه الشبه: الكثرة و التدافع، وجولان بعضهم في بعض².

وأيضًا علم البديع الذي يبحث في وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة، ووضوح الدلالة³ ومن بين ما يدرسه هذا العلم نجد: الإحصاء وهو أن يذكر قبل القافية في الشعر، أو الفاصلة في النثر ما يدلّ عليها إذا عُرف الروي، نجده في قوله تعالى: "سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا" [طه:130] حيث إنّ السامع توقّع ذكر لفظة "غروبها" لمجرّد سماعه "طلوع الشمس"⁴.

فالبلاغة بعلمها الثلاثة مستنبطة من القرآن الكريم، وذلك لفهم القرآن، وبيان معانيه.

¹- بسيوني عبد الفتاح فيود، علم البيان، دراسة تحليلية لمسائل البيان ط2، ص11.

²- ينظر: المرجع السابق ص32.

³- راجي الأسمر، علوم البلاغة، دار الجيل، 2005، ص11.

⁴- ينظر: المرجع السابق، ص120.

2-3- علم الأصوات:

لقد اهتم العرب بعلم الأصوات واعتنوا به، وحافظوا عليه، كما اهتم اللغويون بدراسة الحروف سواء من حيث المخرج، أو من حيث الصفة، فقاموا بدراسة القواعد التي تخضع لها الأصوات اللغوية أثناء القراءة سواء أثناء تركيبها في الكلمة، أو في الجملة.

ويعتبر الخليل بن احمد الفراهيدي أول من درس الحروف على أساس صوتي، فقام بترتيب المعجم على أساس مخارج الأصوات، و استخراج الحروف، و وضع لكل حرف تسميته الخاصة حيث رتبها على أساس النطق التي تنطق به، أي بدأ بأصوات الحلق، و انتهى بأصوات الشفتين¹.

وفي مجال القراءات القرآنية فقد قام القراء بدراسة الأصوات ومخارج الحروف وصفاتها في صورة مفصلة، أي أنها لا تخلو من الغموض والتحريف، و أجملوها في علم التجويد الذي يعتبر نتيجة فنون القراءة وثمرتها، فهو علم يبحث عن تحسين تلاوة القرآن العظيم من جهة مخارج الحروف وصفاتها، و ترتيل النظم المبين بإعطاء حقها من الوصل، والوقف، والمد، والقصر والإدغام، و الإمالة، كما يطلق أيضا على قسم من الترتيل الذي يختص بأساليب الأداء التي تعتمد بدورها على أساليب العرب في الخطابة، والكلام والشعر، وفق ما قرأ به الرسول صلى الله عليه وسلم لأن أذن به من قبائل من "غنة، مد، تفخيم، ترقيق، قلقلة، همس"، وهو أمر لازم لقراءة القرآن².

¹- ينظر : علاء جبر محمد، المدارس الصوتية عند العرب، النشأة و التطور، ط1، ص34.

²- ينظر: أيمن بقله، تسهيل علم القراءات، الجامع لكل من الشاطبية و الدرّة و الطيّبة، ط1، ص75.

فمخارج الحروف وكيفية النطق بها، وكذلك الأساليب من غنة، وقلقلة تتعلق بأساليب العرب في لغاتها، لذلك تعتبر كتب علماء اللغة الأقدمين مرجعا في المسائل التي تختلف فيها النقول العلمية.

الفصل الثاني

لقد تضافرت جهود أهل العلم والفكر على خدمة اللّغة العربية من أنحاء شتّى، متقاربة حيناً ومتباعدة حيناً آخر، من حيث كانت لغة القرآن الكريم مصدر التشريع والتنظيم، وتمت جهود العلماء والمفكرين، وصارت للعربية علومها من نحو، وصرف، وبلاغة، وفقه، ومن إحدى ثمرات التي تجمع بين هذه العلوم، علم القراءات، وهو احد الفنون التي اشتغل العلماء بها خدمة للقرآن الكريم.

ويعتبر هذا العلم من أجلّ العلوم قدراً، وأرفعها ذكراً، وهو من أشرف العلوم الشرعية وذلك لشدة تعلقه بأشرف الكتب السماوية المنزلة.

وكان العرب الذين نزل القرآن الكريم بلغتهم ينطقون بلغات مختلفة ولهجات متعددة، ويعسر على أحدهم الانتقال من لغته إلى غيرها، ومن حرف تَعُودُهُ إلى آخر وبذلك أمر الله نبيّه صلى الله عليه وسلم أن يُقرىء كل قبيلة بلغتها ودليل ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "إنّ هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف" و هذا تيسيراً من الله عزّ وجلّ لعباده.

قال ابن قتيبة-رحمه الله- "ولو أنّ كل فريق من هؤلاء -يعني قبائل العرب- أمر أن يزول عن لغته، وما جرى عليه اعتياده طفلاً وناشئاً و كهلاً لاشتدّ ذلك عليه، وعظمت المحنة فيه، ولم يمكنه إلا بعد رياضة للنفس طويلة، و تذليل للسان، و قطع للعادة، فأراد الله برحمته ولطفه أن يجعل لهم متسعاً في اللغات، ومتصرفاً في الحركات، كتيسيره عليهم في الدّين"¹.

نشأة القراءات القرآنية و أهميتها و تطورها:

لم يكن كتابة الوحي الذين كان النبي - صلى الله عليه وسلم- يُملي عليهم كلّما أوحى إليه شيئاً، من قبيلة واحدة، بل كانوا من قبائل شتّى، وكان النَّاس على اختلاف قبائلهم ولهجاتهم

¹- ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص32.

يقرؤون القرآن بلحن قومهم حتى إذا وجد أحدهم اختلافاً في قراءة سمعها من إنسان كما أقرأه الرسول صلى الله عليه وسلم هرع إليه شاكياً¹.

فعن أبي بن كعب رضي الله عنه - قال: "دخلت المسجد فصليت فقراءت "النحل" ثم جاء رجل آخر فقراها على غير قراءتي، ثم دخل رجل آخر فقراً بخلاف قراءتينا، فدخل في نفسي الشك والتكذيب أشد مما كان في الجاهلية، فأخذت بأيديهما، فأتيت بهما النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله استقرئ هذين، فقراً أحدهما فقال: "أصبت" ثم استقرأ الآخر فقال "أحسن" فدخل في قلبي أشد مما كان في الجاهلية من الشك والتكذيب، فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدري وقال "أعاذك الله من الشك وخساً عنك الشيطان" ففضت عرقاً، فقال: أتاني جبريل فقال: "اقرأ القرآن على حرف واحد" فقلت: "إن أمتي لا تستطيع ذلك، حتى قال سبع مرات" فقال لي: "اقرأ على سبعة أحرف" أخرجه مسلم ورواه أحمد بن حنبل في مسنده.

¹ - ينظر: الإمام الجليل أبي زرعة عبد الرحمان بن محمد بن نجلة - رحمه الله - حجة القراءات، ط5، ص05.

ويمكن الاختلاف في القراءات من حيث الإمالة، أو الترقيق لبعض الحروف أو التفخيم، أو ضبط المضارع الرباعي مثل (نُزِل) أو (نُزِّل) تخفيفاً أو تشديداً أو يكون تغاير لفظين لكن المعنى واحد¹.

واندرجت هذه الوجوه الكثيرة في القراءة المتمثلة في الأحرف السبعة، فكثرت الوجوه المتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم في القراءة وتفرق الصحابة في الأمصار، كلُّ يُقْرَأُ أهل قريته بما سمع على لهجته، وتعارف الناس على هذه الوجوه واللهجات، ولم ينكر أحد على أخيه قراءته حتى إذا امتد الزمان، وكثر الآخذون عن الصحابة الكرام، ووقع بين أتباعهم شيء من الخلاف ويقول أحدهم للآخر قراءتي أصح من قراءتك، فخشي الصحابة مغيبته مع الزمن، فحملوا عثمان بن عفان رضي الله عنه- على التدخل و معالجة الأمر، فقام بذلك حيث كان يأمر بكتابة مصاحف يجتمع عليها قراء الصحابة، وكتبة الوحي، وإذا وقع خلاف كتبوه على لغة قريش، وقام أبو بكر بجمع الصّحف و اللّخاف و العسب التي كتب عليها القرآن، وكذلك جمعه في صدور الرجال (حفظة القرآن الكريم) فيودع ذلك كلّه في مصحف واحد، حتى لا يضيع من القرآن شيئاً، فاستنسخوا بذلك مصاحف عديدة².

و تفرّق الصحابة - رضي الله عليهم- في الأمصار إبان الفتوحات الإسلامية وكانت مرجع النّاس، إليها يصيرون في قراءاتهم وخلافهم، لذلك انحصرت وجوه القراءات بعد هذا فيما تواتر موافقا للرسم العثماني³.

¹- ينظر: عبد الرحمان بن محمد بن نجلة -رحمه الله- حجة القراءات، ط5، ص08.

²- ينظر : المرجع السابق، ص09-10.

³- أبي الحسن علي بن فارس الخياط، التبصرة في قراءات الأئمة العشرة، ط1، ص19.

أما بالنسبة لزمن القراءات القرآنية، هناك من يقول أن تدوين القراءات يعودُ على امتداد

القرنين الأول والثاني، وهناك من يقول أن بداية التدوين كانت مع القرن الثالث.¹

ويتجه الباحثون إلى أن أول إمام دَوّن في هذا العلم، هو الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام (ت

224هـ) حيث جمع فيه خمسة وعشرون قارئاً ... فقد بدأ التأليف في كتب خاصة حيث كان كل

تلميذ يضبط القراءات التي تلقاها من شيخه في كتاب خاص على شكل قراءات فردية، مثل: كتاب

(القراءات) للكسائي، و كتاب (الأشئاني عن حفص) و كتاب (الهلواني عن هشام)² ولهذا يعود

سبب الاختلاف في ذكر عدد القراءات في التصانيف على حسب ما تلقى التلميذ عن شيخه.

ومن أهمية هذا العلم العظيم نختصرها في بعض النقاط:³

- أنها حفظت كثيرا من لغات العرب، ولهجاتهم من الضياع و الاندثار، لأنها استعملت أفصح ما

عندهم.

- التسهيل على الأمة، والتخفيف عليها، ورفع الحرج عنهم وهذه من أجل الحكم في إنزال القرآن

الكريم على سبعة أحرف.

- تعتبر القراءات من أكبر الدلائل على صدق رسول صلى الله عليه وسلم في تبليغه القرآن

الكريم، كما أنزل إليه، إذ أنها مع كثرة الاختلافات بينها، لم تناقض بعضها أو تعارض، بل

بعضها يصدق بعض، ويوضح مشكل بعض، وهذا ما لا يقدر عليه البشر، لقوله تعالى: "ولو كان

من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيرا" [النساء:82].

¹- أبي الحسن علي بن فارس الخياط التبصرة في قراءات الأئمة العشرة ط1 ص20.

²- المرجع نفسه، ص20.

³- المرجع السابق، ص22-23-24..

- إن القراءات القرآنية كانت سبباً كبيراً لإعظام أجور هذه الأمة بحيث يستنبطون الحكم والأحكام ويتتبعون المعاني من دلالة الألفاظ.

- إن تنوعها يفيد أهل العلم أثناء تفسيرهم لكتاب الله تعالى ومحاولة الفهم عن الله عزّ وجلّ، فمثلاً قوله تعالى: "فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين" [المائدة:06]. و"أرجلكم" قرأها بالنصب نافع و ابن عامر وحفص والكسائي ويعقوب، وقرأها الباقون بالجر، فقراءة النصب تفيد وجوب الغسل، لكون لفظ "أرجلكم" معطوفاً على لفظ "وجوهكم" وهو الأصل، وقراءة الجرّ تفيد طلب المسح، لكون اللفظ معطوفاً على لفظ "برؤوسكم".¹

¹- أبي الحسن علي بن فارس الخياط، التّبصرة في قراءات الأئمة العشرة، ط1، ص25.

"وقد كان بين القبائل العربية اختلاف في نبرات الأصوات وطريقة الأداء، فكان من فيهم يدغم، ومن يظهر، ومن يخفي، ومن يُبين، ومن يميل، ومن يفتح ومن يفخم ومن يرفق، ومن يقصر....¹ وإلى غيرها من كفيات النطق، فنجد هذه الفروق يصعب على الناس التخلص منها بعد الاعتياد عليها، لذلك أمر الله تعالى نبيّه أن يُقرئ كل قبيلة بلهجتها، وما جرت عليها عاداتها فنجد مثل: يقرأ الأسيدي: (يعلمون) و(تعلم) و(يسود وجوه) و(الم إعهد إليكم) بكسر حرف المضارعة، والتميمي يهمز، والقريشي لا يهمز، ويقرأ أحدهم: عليهم وفيهم بضم الهاء، لا بكسرها وآخر يقرأ: (موسى) و(عيسى) بالإمالة والآخر يقرأ (الصلاة) و(الطلاق) بالتفخيم²، وإلى ذلك دواليك.

وكل هذا اختلاف طبيعي بين القبائل، في شهرة بعض الألفاظ وفي بعض المدلولات، وما هو معروف عند علماء القراءات: من حيث التذكير و التأنيث، والجمع والإفراد والتخفيف والتشديد والتخفيف، والتسهيل وغير ذلك مما هو مقرر ومحدد، منذ عهد النبوة³.

أما الحكمة من إنزال القرآن على هذه الأوجه المختلفة، فهي أن العرب الذين نزل القرآن بلغتهم، ألسنتهم مختلفة، ولهجاتهم متباينة ويتعذر على الواحد منهم أن ينتقل من لهجته التي درج عليها، ومرن لسانه على التخاطب بها، فصارت هذه اللهجة طبيعة من طباعه وسجية من

¹ - أبو حفص سراج الدين، البذور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، تح: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، ج1، ط1، ص06-07.

² - المرجع السابق، ص06-07.

³ - ينظر: عبد الفتاح القاضي، لبيب السعيد، بحوث قرآنية، المؤتمر السادس، ص79.

سجاياء، فلو أن الله كلّفهم بمخالفة لهجاتهم، والعدول عنها لشقّ ذلك عليهم، لأن هناك من فيهم أمي لم يقرأ و فيهم عجز وشيخ كبير ... لذلك نزل القرآن على سبعة أحرف.¹

أولاً: المقصود بالقراءات القرآنية:

قال الزركشي: "القراءة هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتابة الحروف، أو كيفيتها من تخفيف وتثقل وغيرها". يشير هذا التعريف إلى أن القراءات مختصة بالمختلف فيه من الألفاظ القرآنية، وما عدا ذلك فهو قرآن². قال ابن الجزري: "القراءات علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزولنا قله".³

ولقد أعطى محمد الفاضل بن عاشور مفهوماً للقراءات بأنها: "عبارة عن الصورة التي جاء فيها ضبط مفردة من ألفاظ القرآن بحسب ما سمع منه ونقل بالتواتر، مما يرجع إلى تحقيق ذات الحرف أو ما يرجع إلى شكل النطق، أو ما يرجع إلى حركته"⁴ إلا أن شهاب الدين القسطلاني أعطى تعريفاً جامعاً مانعاً للقراءات، وهو قوله: "علم يعرف منه اتفاق الناقلين لكتاب الله واختلافهم في اللّغة، والإعراب والحذف، والإثبات، والتحريك والإسكان، والانفصال والاتصال، وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال من حيث السماع". وبالرغم من تعدد تعريفات القراءات إلا أنها تصب في مصب واحد.

¹ - ينظر: مكي بن أبي طالب، الإبانة عن معاني القراءات، تح: عبد الفتاح اسماعيل شلبي، ص80.

² - سبط الخياط، المبهج في القراءات و قراءة الأعمش، تح: عبد العزيز بن ناصر السبر، كلية أصول الدين، قسم القراءات و علومه، ج1، المملكة العربية السعودية، 1405هـ، ص12.

³ - شهاب الدين القسطلاني، لطائف الإشارات لفنون القراءات، تح: عامر السيد عثمان عبد الصبور شاهين، ج26، ص170.

⁴ - سبط الخياط، المبهج في القراءات الثمان، ص12-27.

1-1 - أقسام القراءات:

تنقسم القراءات إلى:¹

1) القراءات المتواترة: وهي ما نقله جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم، إلى منتهاه، وغالب القراءات التي يقرأ بها من هذا النوع، و قد اختلفت سبع قراءات من هذا النوع عرفت كل منها بأسماء أهم من عرف بالقراءة بها، وأصحاب هذه القراءات هم:

1- عبد الله بن كثير الداري المكي (ت 120هـ).

2- عبد الله بن عامر اليحصبي الشامي (ت 118هـ).

3- عاصم بن أبي النجود الأسدي الكوفي (ت 127هـ).

4- أبو عمرو بن العلاء البصري (ت 154).

5- حمزة بن حبيب الزيات الكوفي (ت 156 هـ).

6- نافع بن عبد الرحمان بنأبي نعيم المدني (ت 169هـ).

7- أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي النحوي الكوفي (ت 189هـ).

والقراءات أكثر من سبعة، لكن أبو بكر بن مجاهد اقتصر على هؤلاء السبعة لشروطه التي راعاها، وقد تابع العلماء البحث لتحديد القراءات المتواترة، حتى استقرّ الاعتماد العلمي، واشتهر على زيادة ثلاث قراءات أخرى، أُضيفت إلى السبع، فأصبح مجموع المتواتر من القراءات، عشر قراءات، وهذه الأخيرة هي قراءات الأئمة التالية أسماءهم:²

8- أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني (ت 130هـ).

¹ - أبو حفص سراج الدين قاسم بن محمد بن علي الأنصاري النشار، البذور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، ج1، ص09

² - ينظر المرجع السابق ص10

9- يعقوب بن اسحاق الحضرمي الكوفي (ت 205هـ).

10- خلف بن هشام (ت 229هـ).

ومن شروط القراءة الصحيحة المتواترة تجدها في قول الإمام ابن الجزري في منظومته "طيبة

النشر":¹

فكل ما وافق وجه نحو و كان للرسم احتمالاً يحوي

وصحّ إسناداً هو القرآن فهذه الثلاثة الأركان

و حيثما يخلل ركن أثبتشذوذه لو أنه في السبعة

ومن هذه الأبيات يتبين لنا أن للقراءة الصحيحة ثلاث أركان هي:²

1- موافقة اللّغة العربية، و لو بوجه: فلا بد أن توافق القراءة وجهها مشهوراً ومعتداً به عند النحاة،

سواء أكان أفصح أم فصيحاً، مجمعا عليه أم مختلفاً فيه اختلافاً يضرُّ مثله، والقراءة تعتمد على

الأثبت في الأثر والأصح في النقل والرواية.

2- أن تكون القراءة موافقة لرسم أحد المصاحف العثمانية و لواحتمالاً يقول الإمام ابن الجزري

"ونعني بموافقة أحد المصاحف ما كان ثابتاً في بعضها دون بعض، كقراءة ابن عامر: "قالوا اتّخذ

الله ولداً" [البقرة:116] بغير واو، و "بالزبر وبالكتاب المنير" [آل عمران:148] بزيادة الباء في

الاسمين، و هذا ثابت في المصحف الشامي و قراءة ابن كثير: "جنّات تجري من تحتها الأنهار"

[التوبة:160] بزيادة "من" و ذلك ثابت في المصحف المكي، و لو احتمالاً: نعني به ما يوافق

الرسم، ولو تقديراً، إذ موافقة الرسم قد تكون تحقيقاً، وهي الموافقة الصريحة، و قد تكون تقديراً وهي

¹- ابي عبد الله محمد بن شريع الرعيني الأندلسي، الكافي في القراءات السبع، ط1، ص10.

²- المرجع نفسه، ص10-11.

الموافقة الصريحة، وقد تكون تقديراً وهي الموافقة احتمالاً، وقد يوافق بعض القراءات الرسم تحقيقاً و يوافق بعضها تقديراً مثل: "مالك يوم الدين" [الفاتحة:03].

وقد كتب في جميع المصاحف بغير الألف، فقراءة الحذف تحتمله تحقيقاً، وقراءة الألف تحتمله تقديراً.¹

3- صحّة الإسناد: أي القراءات التي صحّت أسانيدُها، و يقرأ بها اليوم و قد وصلتنا متواترة.

(2) القراءات المشهورة: وهي ما صحّ سندُها ولم تخالف الرسم ولا اللّغة، واشتهرت عند القراء لكنها لم تصل إلى حد التواتر المطلوب، فلم يعدوها من الغلط ولا من الشذوذ وهذا لا تصح القراءة بها، ولا يجوز ردّها، و لا يحل إنكارها و قد اخْتِيرَ من هذا النوع ثلاث قراءات، التي أُضيفت إلى السبع.²

ونظراً لهذه القراءات الثلاث لا تخالف رسم السبع، فقد ألحقها المحققون بها فيقول عبد الوهاب السبكي: "إن هذه القراءات الثلاث بالإضافة إلى القراءات السبع، معلومة من الدين بالضرورة، ونزلت على النبي صلى الله عليه وسلم، لا يكابر في شيء من ذلك إلا جاهل" و من أمثلة هذا النوع من القراءات قوله تعالى: "ما أشهدناهم" [الكهف:51] بدل "ما أشهدتهم"³.

و قوله أيضاً: "و ما كنت متخذاً المضلّين عضداً" [الكهف:51] بفتح التاء بدلاً من ضمها.

¹- ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج1، ص11.

²- أبو حفص سراج الدين قاسم بن محمد بن علي الأنصاري النشار، البذور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، ج1، ط1،

ص10

³- المرجع السابق، ص10-11.

3) **الآحاد:** وهو ما صحّ سنده، وخالف الرسم أو العربية، أو لم يشتهر الاشتهار المذكور. ولم يقرأ به، مثل ما روى على (رفارف خضر و عباقرى حسان) والصواب الذي عليه القراءة "رفرف خضر و عباقرى حسان" [الرحمان:76].

4) **القراءات الشاذة:** وهي ما لم يصحّ سندها، أو خالفت رسم المصحف، وخالفت العربية، نحو قوله تعالى: "قال يوم ننجّيك ببدينك" فقرأها ابن السميع و أبي السّمّال "ننجّيك" بضم النون الأولى، وفتح الثانية، و شديد الحاء مع الكسر، وأيضا: "مالك يوم الدين" بقراءة (مَلَكَ يومالدين)، بصيغة الماضي في (ملك) ونصب (يوم) مفعولا.¹

5) **القراءات الموضوعية:** ويمثل لها السيوطي بقراءات الخزاعي وهي النوع المختلف المكذوب.²

6) **لقراءات المدرجة:** وهي ما يزيد في القراءة على وجه التفسير، كالقراءة المنسوبة إلى سعد بن أبيوقاص "و له أخ أو أخت من أم"³ أي زيادة (من أم).

1-2- اختلاف اللهجات و تعدد القراءات:

لقد نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين، واللّسان العربي مثله مثل كل الألسنة، انشعبت منه، منذ القديم لهجات متعددة، مختلفة في كثير من المستويات، منها: الصوتية والدلالية، وعلى مستوى القواعد والمفردات.

وهناك أسباب أدّت إلى هذا الاختلاف من أهمها نجد: أنّ طريقة الأداء تختلف من شخص لآخر ومن مكان لآخر، ومن سنّة الله تعالى، أنه لم يرسل رسولاّ إلا بلسان قومه قال تعالى: "وما أرسلنا

¹- ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج1، ص16.

²- المرجع السابق، ص11.

³- ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج1، ص11.

من رسول إلا بلسان قومه" [إبراهيم:04] و ذلك أن العرب الذين أنزل إليهم القرآن، كانوا مختلفي اللهجات، ومتعددي اللغات، ومن أجل ذلك، انزل الله عزّ وجلّ كتابه العزيز على لهجات العرب ليتمكنوا من قراءته، و يستنبطوا أحكامه، و ينتفعوا بها، إذ لو أنزله بلهجة واحدة، و الذين أنزل إليهم مختلفو اللهجات، لحال ذلك دون قراءته، والانتفاع بأحكامه، و بطبع الإنسان يتعذر عليه أن يتحول من لهجته التي درج عليها منذ نعومة أظافره إلى لهجة أخرى، فالإسلام دين يسر، لذلك اقتضت رحمة الله تعالى التي وسعت كل شيء، أن يخفف عن أمّة محمد صلى الله عليه وسلم فأنزل القرآن على لهجات العرب المختلفة المتنوعة، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يقرؤه على العرب بهذه اللهجات ليسهل على كل قبيلة تلاوته، بما يوافق لهجاتها.¹

1-3: الفرق بين القرآن و القراءات:

من المعروف إنّ القرآن الكريم هو كلام الله تعالى، المعجز، المتعبد بتلاوته، و المنقول إلينا نقلا متواترا، و قد علمنا أن القراءات هي كيفيات أداء كلمات القرآن معزوا إلى ناقله، و منها المتواتر و الشاذ.

ونجد الإمام بدر الدين الزركشي، يرى بأن القرآن و القراءات حقيقتان متغايرتان، حيث يقول:
"و اعلم أن القرآن و القراءات حقيقتان متغايرتان، فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد صلى الله

¹-ينظر أبو حفص سراج الدين ، البنور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، تح: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، ج1، ط1، ص06-07.

عليه وسلم للبيان و الإعجاز، و القراءات هي: اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في الحروف، وكيفيةها من تخفيف و تثقيل...¹ و نجد منها أيضا التخفيف و الهمز، الفتح و الإمالة.

لعل ما قصده الزركشي في قوله هذا أن بين القرآن و القراءات ارتباطاً وثيقاً، و تداخلاً لا ينكر حيث قال: "و لست في هذا أنكر تداخل القرآن بالقراءات، إذ لابد أن يكون الارتباط بينهما وثيقاً، غير أن الاختلاف على الرغم من هذا يظل موجوداً بينهما، بمعنى أن كلاً منهما شيء يختلف عن الآخر، لا يقوى هذا التداخل بينهما، على أن يجعلهما شيئاً واحداً، فما القرآن إلا التركيب، و اللفظ، و ما القراءات إلا اللفظ و نطقه، و الفرق بين هذا و ذاك واضح، و بيّن².

من خلال هذا القول نستنتج أن القرآن و القراءات ليسا متفقين مطلقاً، بل هما متفقان من وجه واحد، و هو أن القرآن هو الوحي النازل على النبي صلى الله عليه وسلم، و القراءات الصحيحة المتواترة جزء من هذا القرآن.

ونجد رأياً مخالفاً للأول و هو رأي الدكتور محمد سالم محيسن.

أن القرآن والقراءات حقيقتان بمعنى واحدة أي أنهما شيء واحد، و يستدل بذلك أن كلاً منهما

وحي منزل على الرسول صلى الله عليه وسلم³ وكما ظهر أن هذا الرأي ليس بصواب، لأن⁴:

- القراءات على اختلاف أنواعها، لا تشمل كلمات القرآن كله، لأنها موجودة في بعض

ألفاظه، فكيف يقال بأنهما حقيقتان متحدتان.

¹- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج1، ط1/ ص318.

²- أحمد خالد شكري، أحمد محمد مفلح، محمد خالد منصور، مقدمات في علم القراءات، ط1، ص49.

³- محمد سالم محيسن، القراءات و أثرها في علوم العربية، ط1، ص17-18.

⁴- شعبان محمد اسماعيل، حازم سعيد حيدر، القراءات أحكامها و مصدرها، ط1، ص224-225.

- أن تعريف القراءات يشمل المتواترة و الشاذة، و المتواترة من القرآن قطعا، و الشاذة لا تعتبر قرآنا.

من هنا نقول أن القرآن و القراءات المتواترة حقيقة واحدة باعتبار كونهما وحياً من الله تعالى، فإن القراءات المتواترة و الاختلاف الثابت عن النبي صلى الله عليه و سلم في بعض الكلمات جزء من الوحي، و نقول أنهما حقيقتان متغايرتان باعتبار طبيعة كل منهما، فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد صلى الله عليه و سلم، والقراءات بنوعيتها هي الكلمات المختلف فيها. من كل هذا نقول أن القرآن الكريم أعم من القراءات القرآنية المتواترة، و هذه الأخيرة جزء من القرآن، والشاذة ليست من القرآن.

ثانيا: الأحرف السبعة و القراءات المتواترة :

تعتبر القراءات القرآنية المتواترة جملة ما بقي من الأحرف السبعة، التي نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم، ومصدرها الوحيد هو الوحي الذي نزل به جبريل عليه السلام على نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم، عن طريق النقل الصحيح المتواتر، وكما ذكرنا سابقاً أن الأحرف السبعة ليست نفسها القراءات وذلك لأن الأحرف السبعة هي الأعم، و القراءات المتواترة تعتبر جزءا من هذه الأحرف، لكونه قد نسخ جزء منها في العرصة الأخيرة.*¹

يقول أبوشامة: "إن هذه القراءات التي نقرؤها هي بعض من الحروف السبعة التي نزل عليها القرآن، استعملت لموافقته المصحف الذي اجتمعت عليه الأمة، و ترك ما سواها من الحروف السبعة، لمخالفته لمرسوم خط المصحف؛ إذ ليس بواجب علينا القراءة بجميع الحروف السبعة التي

¹- محمد احمد مفلح القضاة، أحمد خالد شكري، محمد خالد منصور، مقدمات في علم القراءات، ط1، ص39.

نزل عليها القرآن، و إذ قد أباح النبي صلى الله عليه وسلم لنا القراءة ببعضها دون بعض، لقوله تعالى: "فاقرؤوا ما تيسر منه" [المزمل:20].¹

من خلال هذا القول يمكننا أن نستخلص أن كل قراءة متواترة هي من الأحرف السبعة، و ليس كل قراءة متواترة من الأحرف السبعة، لكونه قد نسخ شيء منه في العرصة الأخيرة²، وليس بالضرورة أن نقرأ بجميع هذه الأحرف، و هذا تيسيراً من الله عزّ و جلّ لعباده.

2-1- معنى الأحرف السبعة:

عن أبي بن كعب رضي الله عنه- قال: "لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل، فقال: يا جبريل إنني بُعثت إلى أمة أميين فيهم العجوز و الشيخ الكبير، و الغلام و الجارية، و الرجل الذي لم يقرأ قط، قال: يا محمد إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف" رواه الترمذي و قال حسن صحيح.

و قبل التطرق إلى معنى الأحرف السبعة يجب أوّلاً أن نبيّن ما المقصود بالأحرف.

يرى الإمام أبو عمرو الداني (ت 444هـ) أنّ الحرف يطلق على أمرين:³

1- معنى الحرف الوجه من اللغات.

2- معنى الحرف القراءة.

¹- أبو شامة، المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، تح: طيار ألتي فلاج، دار صادر، بيروت، 1975، ص14.

²- ينظر: محمد احمد مفلح القضاة، أحمد خالد شكري، محمد خالد منصور، مقدمات في علم القراءات، ط1، ص39.

*العرصة الأخيرة فيها تدارس النبي صلى الله عليه وسلم وجبريل عليه السلام القرآن مرتين و ذلك تشبيهاً للنص القرآني.

³-ينظر محمد أحمد مفلح، أحمد خالد شكري، محمد خالد منصور، مقدمات في علم القراءات، ط1، ص09.

فالأول المقصود به وجه في قوله تعالى: " و من الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمئن به. و إن أصابته فتنة انقلب على وجهه" [الحج:11] فالمراد بالحرف هنا الوجه، أي على النعمة و الخير، فإذا استقامت له هذه الأحوال اطمأن و عبد الله، و إن تغيرت عليه وامتحنه بالشدة و الضر، ترك العبادة و كفر، و هذا عبد الله على وجه واحد، و لهذا سمي النبي صلى الله عليه وسلم هذه الأوجه من القراءات، و المتغايرة من اللغات أحرف على أنّ كل شيء منها وجه.

أما المقصود بحرف القراءة: نشير بهذا إلى قول عمر رضي الله عنه:- سمعت هشاماً يقرأ سورة الفرقان على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، هذا القول يبين لنا أن القراءة حرف، و إن كان كلاماً كثيراً.

إذن كلا الوجهين محتمل، إلا أن الأول محتمل احتمالاً قوياً في قوله صلى الله عليه وسلم "سبعة أحرف" أي سبعة أنحاء و أوجه.¹

أما السبعة فلا يقصد منها حقيقة العدد، بحيث لا يزيد و لا ينقص بل المراد به السعة والتيسير، على عكس ما يظنه بعض العوام، أن المقصود بالسبعة، القراء السبعة المشهورين، وهذا ليس بالصحيح، لأن هؤلاء السبعة لم يكونوا قد وجدوا و خلقوا عندما نزل القرآن الكريم.²

¹- ينظر: عبد الصبور شاهين، تاريخ القرآن، دار القلم، ص195.

²- ابن الجزري: النشر في القراءات العشر، ج1، ص25.

و قد ذهب العلماء في تفسير ذلك مذاهب شتى، فذهب أكثر العلماء على أنها لغات، ثم اختلفوا في تعيينها، فقال أبو عبيد: هي لغة قريش و هذيل، و ثقيف، و هوزان، و كنانة، و تميم و اليمن.

و قال بعضهم: المراد بها معاني الأحكام: كالحلال و الحرام، و المحكم، و المتشابه والأمثال، و الإنشاء، و الأخبار.

و قيل: الوعد، و الوعيد، و المطلق، و المقيد و التفسير و الإعراب و التأويل، و قيل أيضا: الأمر، و النهي، و الطلب، و الدعاء، و الخبر، و الاستخبار، و الزجر¹.

غير أنّ هناك من لم يقتنع بهذه الأقوال، لأن الصحابة الذين اختلفوا و ترفعوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم لم يختلفوا في تفسيره، و لا في أحكامه، إنما اختلفوا في قراءة حروفه، و نجد ابن الجزري، و الإمام أبي الفضل الرازي من بين الأئمة الذين لم يقتنعوا بهذه الأقوال، و ذهبوا إلى أنّ المراد بهذه الأحرف الأوجه التي يقع بها التّغاير و الاختلاف².

و الحكمة من إنزال القرآن الكريم على سبعة أحرف هو التخفيف و التسيير على الأمة المحمدية، لأن العرب الذين أنزل القرآن بلغتهم، ألسنتهم مختلفة، و لهجاتهم متباينة، و الإسلام دين يسر، انزله الله عز و جل لنقرأه و نستنبط حكمه و أحكامه.

¹ - ينظر: محمد محمد محمد سالم محسين، الإرشادات الجلية في القراءات السبع، ط1، ص23.

² - ينظر: محمد محمد محمد سالم محسين الإرشادات الجلية في القراءات السبع ط1 ص25.

ليس من المقصود بالأحرف السبعة القراءات السبع، لأن القراءات السبع، بل القراءات العشر المتواترة جزء من الأحرف السبعة، التي أنزل الله بها القرآن الكريم، كما ورد في الحديث: "إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرؤوا ما تيسر منه".¹

2-2- الظواهر اللغوية في القراءات القرآنية:

لقد قامت دراسات كثيرة حول الظواهر اللغوية، و سنتطرق إلى ذكر بعض هذه الظواهر، مع الاستشهاد ببعض الآيات القرآنية، ومن بين هذه الظواهر اللغوية التي سنتناولها نجد: الظواهر الصوتية و الصرفية و النحوية، و البلاغية.

1-الصوتية:

الإمالة من بين الظواهر الصوتية التي يدرسها علم الأصوات، و نجد ابن جني يُعرّفها يقول: "فمن ذلك الإمالة، و إنّما وقعت في الكلام لتقريب الصوت من الصوت، و ذلك نحو: عالم كتاب، و سعى، و قضى، و استقصى، ألا تراك قربت فتحة العين من (عالم) إلى كسرة اللام، منه بأن نحوت بالفتحة نحو الكسرة، فأملت الألف نحو الياء، و كذلك "سعى و قضى" نحوت بالألف نحو الياء التي انقلبت عنها، و عليه بقية الباب"² ففي هذا القول نستطيع أن نقول أن الإمالة وقعت في الكلام ليتقارب الصوتان، و من أمثلة ذلك، نجد قوله تعالى: "و قال اركبوا فيها باسم الله مجراها و مرساها" [هود:41] فلفظة (مجراها) نجد إمالة الألف لتكون قريبة من نطقها من الياء، و نجد قوله تعالى: "و إن يأتوكم أسارى نُفّادوهم" [البقرة:85] فكلمة (أسارى) على وزن (فُعَالَى)، و

¹- ينظر: سيد لاشين أبو الفرج، و خالد بن محمد، تقريب المعاني في شرح حرز الأمان في القراءات السبع، ط5، ص12.

²- ابن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات و الإيضاح عنها، تح: علي النجدي و اصف عبد الحليم النجار، عبد الفتاح اسماعيل شلبي، ج1، القاهرة، 1994، ص98.

(أَسْرَى) على وزن (فَعَلَى)، تفرد به حمزة و يميلها (أَسْرَى)، و يميلان أبو عمرو و الكسائي (أَسَارَى)، فلا يقرآن (أَسْرَى) بلا إمالة.¹

الصرفية: يبحث علم الصرف في التغير الذي يطرأ على بنية الكلمة، و اشتقاق هذه الكلمة من غيرها، نحو قوله تعالى: "مالك يوم الدين" [الفاحة:03] قرأ عاصم و الكسائي (مالك) بألف مد، على وزن سامع، اسم فاعل من ملك ملكا بالكسر، و ملك بغير ألف على وزن سمع، صفة مشبهة، أي: قاضي يوم الدين.²

قال أبو حاتم: و (مَالِكٍ) أبلغ في مدح الخلق من (مَلِكٍ)، و (مَلِكٍ) أبلغ في مدح المخلوقين من (مالك)، و الفرق بينهما أن المالك من المخلوقين قد يكون غير مالك، و إذا كان الله تعالى (مالكا) كان (ملكا)، لقوله تعالى: "مالك يوم الدين"، أي: اختص نفسه بهذه الصفة، فلم يشركه في ملك ذلك اليوم غيره، فقولهم مالك الشيء لمن يملكه قد يكون ملكًا لا مالكاً نحو: ملك العرب والعجم.³

وقوله أيضا: "تزاوروا" [الكهف:17] قال أبو الفتح: هذا افعال، و تزاور تفاعل، و قلما جاءت افعال إلا في الألوان نحو: اسودّ، و ابيضّ، و احمارّ، و اصفارّ، أو العيوب الظاهرة نحو: احوّلّ و احوالّ، و اعورّ و اعوارّ، و اصيدّ و اصيادّ، و قد جاءت افعالّ و افعلّ، و هي مقصورة من افعال، في غير الألوان.

¹- عبد العزيز علي سفر، الإمالة و التفخيم في القراءات القرآنية حتى القرن الرابع الهجري، دراسة مع تحقيق كتاب الاستكمال لابن غلبون، ج1، السلسلة التراثية22، ص35.

²- أبو حاتم السجستاني، الدراسات القرآنية قراءة و توجيهها و إعرابا للقرآن الكريم، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في اللغة بيرى محمد ياسين الغباني، إشراف: عبد الفتاح شلبي، ص93.

³- المرجع السابق، ص93.

النحوية:

من بين الظواهر اللغوية التي يدرسها علم النحو، نجد ظاهرة الإعراب، و من أمثلة ذلك قوله تعالى: "و كذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم" [الأنعام: 137] ببناء الفعل للفاعل، إلا أنه قدم المفعول و هو (قتل)، و آخر الفاعل و هو الشركاء، فالشركاء هم المزينون للكافرين قتل أولادهم، و قتل مضاف، و الأولاد مضاف إليه.¹

و قرأ ابن عامر (زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم) ببناء الفعل للمفعول ونصب أولاد و جر شركاء، فزين فعل ماض مبني لما لم يتم فاعل، و قتل نائب فاعل مرفوع بالضمّة ومصدر، و المصدر يعمل عمل الفعل رفعا و نصبا، فأولادهم مفعول به منصوب بالمصدر، والمصدر (قتل) مضاف و شركاء مضاف إليه، و هذه الإضافة من إضافة المصدر للفاعل، و قد فصل بين المضاف و المضاف إليه (قتل و شركاء) بالمفعول (أولاد) إذ التقدير (زين لكثير من المشركين قتل شركائهم أولادهم).²

¹- فضل حسن عباس، القراءات القرآنية و ما يتعلق بها، ط1، دار النفائس، 2008، ص312.

²- المرجع نفسه، ص313.

2-البلاغية:

القرآن الكريم معجز لما فيه من البلاغة و البيان و التشبيه و الاستعارة، و من أمثلة ذلك¹ نجد قوله تعالى: "يوم تقلب وجوههم في النَّار" [الأحزاب:66] و هذا من قراءة ابن عمر الكوفي حيث تقلب ببناء الفعل للفاعل، و الفاعل هنا هو (النار) و نصب (وجوههم) على أنها مفعول به وبينما هي في القراءة الشهيرة تقلب على البناء للمفعول.

وتوجيه قراءة الكسر أن هذا مجاز عقلي: حيث سند التقليل إلى النار، لعلاقة المكانية. ذكر ابن جني في المحتسب (لأنه إذا كان التقليل فيها جاز أن ينسب الفعل إليها للملابسة التي بينها) و خاصية المجاز هنا، أو بلاغته: أن النار من شدة غيظها و حنقها على هؤلاء القوم هي التي تتولى مهمة التقليل، و قد يكون في الوجوه مجازاً مرسلاً من إطلاق الجزء، و إرادة الكل، لأن الوجوه جزء أساسي من الجسم.

بينما القراءة المشهورة تقلب ببناء الفعل للمفعول، إرادة أن يكون التركيز على التقليل ذاته، أو قد يكون هناك أكثر من فاعل محتمل يدخل فيها النار كما في القراءة السابقة.

فيكون الجمع بين القراءتين: أن القراءة الأولى تدل على ممارسة النار للتقليل، فيما يظهر للمقلب أو المعذب، لأنّ النار تلبسه، ثم من شدة العذاب و التقليل يغم في نفسه الفاعل القريب وأن هناك قوة أخرى هي التي تتولى التقليل، و انه لا يهتم بعد اشتداد العذاب عليه إلا التقليل ذاته.

¹- ينظر: هيفاء عثمان عباس الفداء، القراءات القرآنية و تعاضدها في الإعجاز، ص10-09.

وبما أنّ القراءات القرآنية متعلقة كثيرا بالجانب النحوي، فقد تطرقنا إلى ذكر بعض مظاهر

تأثير القراءات القرآنية في النحو، كما ركّزنا على القراءات المتواترة فقط.

2-3- مظاهر تأثير القراءات القرآنية في النحو:

تعتبر القراءات القرآنية مصدر لتقنين النحو، و ضبط قواعده فالقراءات اتّخذت في تأثيرها

في القواعد النحوية خمسة مظاهر ألا و هي:¹

1) قراءات تولدت عنها قواعد نحوية مختلفة أو شاركت في بناء تلك القواعد: القراءات لها أثر

كبير في تععيد كثير من القواعد التي لم تكن موجودة قبل القراءة، و أسهمت بقوة في بناء هذه

القاعدة من بينها:

- قاعدة نصب الفعل المضارع المقترن بفاء السببية بعد الرجاء، حملا للرجاء على التمني

قال تعالى: "لعلّي ابليغ الأسباب أسباب السماوات فاطلع" [غافر:36،37] ينصب (أطلع)

بعد الفاء.

- قاعدة جواز الوقف على الاسم المنقوص، بإثبات الياء، و هي قراءة ابن كثير قال تعالى:

"ولكل قوم هاد" [الرعد:07] أي بإثبات الياء وقفا.

2) قراءات أيدت بها قاعدة نحوية: لم يقتصر أثر القراءات في القاعدة النحوية على بناءها، بل

تعدّاه إلى تأييدها و تثبيتها، مثل:

¹- نبيل بن محمد إبراهيم آل إسماعيل، علم القراءات نشأته، أطواره، أثره في العلوم الشرعية، ط1، ص413-420.

- حذف المضاف عليه مع (قبل أو بعد) دون نيته لا لفظاً، و لا تقديراً قال تعالى: "الله الأمر من قبل و من بعد" [الروم:04] بتتوين كلمتي (قبل و بعد) على اعتبار أنهما قد قطعنا عن الإضافة لفظاً و معنى، و هما في هذه الحالة نكرتان، و ذلك لتتوينهما.

- رفع المضارع الدال على الحال بعد (حتى). قال تعالى: "و زلزلوا حتى يقول الرسول" [البقرة:214] و ذلك يرفع الفعل المضارع (يقول) لدلالته على الحال.

(3) قراءات ردت بها قاعدة نحوية: كانت القراءات في بعض الأحيان ناقضة لهذه القاعدة، و دافعا لها، فقد اتخذ النحاة من القراءات، دليلا على صواب ما يرون و خطى ما يراه غيرهم فمن ذلك:¹

- قاعدة بناء (حيث) على الضم، و عدم إعرابها: و قد نقضت هذه القاعدة بجواز إعرابها في ذلك على قراءة من قرأ (حيث) بالكسر في قوله تعالى: "سنستدرجهم من حيث لا يعلمون" (الأعراف: 182)

(4) قراءات ترتبت عليها وجوه إعرابية في الآية الواحدة: لقد كانت القراءات سبباً في اختلاف النحاة في توجيه الآية القرآنية من حيث إعرابها، و من ذلك نذكر:

- قراءة عيسى بن عمر لقوله تعالى: "أَنَّ كَلًّا فِيهَا" [غافر:48] فيرى الفراء و الزمخشري أن (كلاً) توكيد لاسم (إِنَّ) و يرى ابن مالك أنها حال من الضمير المستقر في الجار و المجرور المرفوع.

¹- نبيل بن محمد إبراهيم آل اسماعيل، علم القراءات نشأته، أطواره، أثره في العلوم الشرعية، ط1، ص424-425-428.

- قراءة قوله تعالى: "هيت لك" [يوسف:23] فقد قرئت كلمة (هيت) بفتح التاء على أنها اسم فعل ماضي بمعنى (تهيأت)، أو اسم فعل أمر بمعنى (أقبل)، كما قرئت بكسرها على أنه فعل بمعنى (تهيأت).

(5) قراءات تولدت عنها طرائف نحوية: من أمثلة القراءات التي تولدت عنها مثل هذه الغرائب نجد:

- جر "لات" للزمان: و المعروف أن "لات" تنصب ما بعدها الفراء يرى أنها قد تجر الزمان الواقع بعدها: قال تعالى: "و لات حين مناص" [ص:03] يجر لفظ (حين) و هذا من الغرابة و الخروج عن المؤلف في هذا اللفظ.

- نصب الفعل المضارع بعد الحصر إذا كان مقترنا بالفاء، قال تعالى: "و إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون" [البقرة:117] بنصب الفعل المضارع لاقتترانه بالفاء و وقوعه بعد (إنما) الحاصرة، و لم يتوفر في هذه الآية ما يبرز نصب المضارع، بالشروط و الحالات التي عهد نصبه عليها إذا اقترن بالفاء.¹

كما نجد هناك قراءات ليست فيها غرابة، و لكنها تبدو كذلك، منها²: قوله تعالى: "إنّ هذان لساحران" [طه:636] قرئت بوجهين أحدهما ما تقدم، أما الآخر بنصب "هذين" بالياء، فهذه لاختلاف في توجيهها، لأن "هذين" اسم (إنّ) و اللام مؤكدة، و ساحران خبر، لكن القراءة الأولى وهي تخفيف (إنّ) و رفع (هذان) و هي القراءة التي دار حول توجيهها خلاف كبير بين النحاة ومما قيل في توجيهها:

¹- نبيل بن محمد ابراهيم آل اسماعيل، علم القراءات نشأته، أطواره، أثره في العلوم الشرعية، ط1، ص430.

²- المرجع السابق، ص431.

أ- (إِنَّ) بمعنى نعم، و هذان مبتدأ، و يضعفه وجود اللام مع الخبر (ساحران)

ب- (إِنَّ) مخففة و اسمها ضمير شأن محذوف، و يضعف هذا أن (إِنَّ) مكسورة الهمزة

لا تخفف و يضم اسمها.

ومن دليل اثر القراءات القرآنية في النحو مما نراه من مؤلفات لعلماء النحو و القراءات

ككتب إعراب القرآن، و كتب الاحتجاج للقراءات متواترها و شاذها، و ما أُلِّف للدفاع عن القراءات

التي ردها النحاة، و كذلك ما نجده مدوناً في كتب التفاسير التي تهتم بهذا الجانب و تعطيه جلّ

اهتمامها، فعلماء النحو يستشهدون بالقراءات في وضع قواعد و ضوابط النحو.

الخاتمة

الخاتمة:

كانت القراءات القرآنية من بين المصادر التي استقى منها اللغويون العرب مادتهم العلمية، ولئن تضافرت جهود طائفة كبيرة من العلماء من أجل النهوض بالدرس اللغوي إلى المستوى الذي يخدم متعلمي اللغة العربية من الأجيال الجديدة من جهة، أو من الداخلين في الإسلام من جهة أخرى، صوتًا للقرآن الكريم من اللحن و فهمًا لما جاء به من أحكام، فإن القرآن كان من المصادر التي احتاجت إلى تحليل العلماء و تحليلهم لتزويد الدرس اللغوي عامّةً، و الدرس النحوي خاصّةً. و من هنا نشير إلى أن هناك تلازمًا بين النحو و القرآن الكريم، فالنحوي لا غنى له عن القرآن، إذ هو مادة استشهد للقواعد النحوية، و لا عجب في ذلك التلاحم بين النحو و القرآن الكريم و قراءته، فالقرآن هو من هدّب اللسان العربي من غريب الكلام و مما يخرج عن الفصاحة.

قال ابن خالويه: "قد اجمع الناس على أن اللّغة إذا وردت في القرآن فهي أفصح ممّا في غيره" و القرآن الكريم هو من خلّص اللّغة العربية من شتات اللهجات الكثيرة، يضاف إلى ذلك أنّ القرآن الكريم كان له الفضل الكبير في تقعيد اللّغة و ضبطها، لذلك يمكن أن نعدّ القرآن الكريم بمنزلة الرّوح من الجسد بالنسبة إلى اللّغة العربية، بل بفضلها سادت اللّغة العربية و تهذّبت و ضبطت قواعدها، و اتّصلت حلقاتها و انفتحت للعلوم و المعارف و حفظت وحدتها..

أمّا القراءات القرآنية التي تناولها العلماء، فكانت مادة من مواد الدرس اللغوي العربي منها الدرس النحوي، والدرس البلاغي ... و إن تفاوتت النظرة إليها و اختلفت الآراء في رفضها وقبولها فقد أحدثت نوعًا من التفاعل البناء بين علماء اللّغة، و ما الاختلاف فيها إلا السبيل والمنطلق إلى

لغة قرآنية سليمة من كل زلل أو لحن قد يقع فيه من يجهل القراءات القرآنية، و ما عليه من سلامة في اللّغة.

فالقرآن الكريم الذي نزل على سبعة أحرف كل منها شافٍ كافٍ لا سبيل في تخطئة قراءته إذا ما توافرت لها شروط القراءة الصحيحة، و لم تخرج عن مقاييس اللّغة.

قائمة المصادر و المراجع:

(1) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، تح علي محمد الضباع ج1 دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان

(2) ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تع إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، 1433هـ.

(3) أبو حاتم السجستاني، الدراسات القرآنية قراءة و توجيهها و إعرابا للقرآن الكريم، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في اللّغة، ل: يسرى محمد ياسين الغباني، إشراف عبد القتاح إسماعيل شلبي.

(4) أبو حفص سراج الدين عمر بن زيدان الدين القاسم بن محمد بن علي الأنصاري النشار، البذور الزهرة في القراءات العشر المتواترة . تح و تع علي محمد معوض، عادل أحمد بن الموجود، ط1 ج1، علم الكتب، 2000م.

(5) أبوشامة، المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، تح: طيار آلتى قولاج. دار صادر، بيروت، 1975.

(6) أبو عبيدة معمر بن المثني، مجاز القرآن، ج1.

- (7) أبي الفتح عثمان بن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات و الإيضاح عنها، ج2، تح: علي النجدي ناصف، عبد الفتح إسماعيل شلبي، القاهرة، 1994.
- (8) أبي الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تح: عبد الحميد هنداوي، المجلد1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2001.
- (9) أبي عبد الله محمد ابن شريح الرعيني الأندلسي (ت 476هـ)، الكافي في القراءات السبع، تح: أحمد محمود عبد السميع الشافعي، إجازة في القراءات المتواترة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2000م.
- (10) أحمد خالد شكري، أحمد محمد مقلح، محمد خالد منصور، مقدمات في علم القراءات، ط1، دار عمار، 2001.
- (11) الإمام أبي الحسن علي بن فارس الخياط (ت 456هـ) التبصرة في القراءات الأئمة العشرة، تح: رحاب محمد مفيد شقفي، ط1، مكتبة الرشد ناشروه، 2007.
- (12) الإمام أبي زرعة عبد الرحمان بن محمد بن نجلة -رحمه الله- حجة القراءات، تح و تع: سعيد الأفغاني، ط1، مؤسسة الرسالة، 1979.
- (13) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: أبو الفضل محمد إبراهيم ، ج1، ط1.
- (14) السيد رزق الطويل، في علوم القراءات، مدخل و دراسة و تحقيق، ط1، المكتبة الفيصلية 1985م.
- (15) أيمن بقله، تسهيل علم القراءات الجامع لكل من طرقي الشاطبية و الدرّة و الطيّبة، ط1، 2009م.

- (16) بسيوني عبد الفتاح فيود، علم البيان، دراسة تحليلية لمسائل البيان، ط2.
- (17) توفيق إبراهيم ضمرة، أحسن البيان، شرح طرق الطيبة برواية حفص بن سليمان، ط1، المكتبة الوطنية، عمان، 2006.
- (18) جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، من الانترنت.
- (19) حاتم الضامن، بيان السبب الموجب لاختلاف القراءات و كثرة الطرق و الروايات، مجلة المعهد للمخطوطات العربية مجلة 29، ج1، 1985.
- (20) راجي الأسمر، علوم البلاغة، دار الجيل، 2005.
- (21) سبط الخياط، المبهج في القراءات و قراءات الأعمش، تح: عبد العزيز بن ناصر السبر، كلية أصول الدين، قسم القراءات و علومه، ج1، المملكة العربية السعودية، 1405هـ.
- (22) سيد لاشين أبو الفرج، و خالد بن محمد، تقرير المعاني في شرح الحرز الأماني في القراءات السبع، ط5.
- (23) شهاب الدين القسطلاني، لطائف الإشارات لفنون القراءات تح و تع: عامر السيد عثمان، عبد الصبور شاهين، ج1، الكتاب السادس و العشرون، القاهرة، 1973.
- (24) عبد الرحمان بن محمد بن نجلة -رحمه الله- حجة القراءات تح و تع: سعيد الأفغاني، ط5، مؤسسة الرسالة، 1997.
- (25) عبد العزيز علي سفر، الإمامة و التفخيم في القراءات القرآنية حتى القرن الرابع الهجري، دراسة مع تحقيق كتاب الاستكمال لابن غلبون، ج1، السلسلة التراثية 22.

- (26) عبد الصبور شاهين، تاريخ القران، دار القلم.
- (27) عبد الفتاح القاضي لبيب السعيد، بحوث قرآنية، المؤتمر السادس.
- (28) عزيزة فوال بابتي، المعجم المفضل في النحو العربي، ج1، ط2.
- (29) علاء جبر محمد، المدارس الصوتية عند العرب، النشأة و التطور، ط1.
- (30) فضل حسن عباس، القراءات القرآنية و ما يتعلق بها، ط1، دار النفائس، 2008.
- (31) محمد اسماعيل ابراهيم، معجم الألفاظ و الأعلام القرآنية، طبعة جديدة و منقحة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998.
- (32) محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم، دار العلم، الكويت.
- (33) محمد محمد محمد سالم محيسن، الإرشادات الجلية في القراءات السبع، ط1، دار محيسن، 2005.
- (34) مكي بن أبي طالب، الإبانة عن معاني القراءات، تح، عبد الفتاح اسماعيل شلبي، دار نهضة مصر، للطبع و النشر.
- (35) نبيل بن محمد بن ابراهيم آل اسماعيل، علم القراءات، نشأته، أطواره، أثره في العلوم الشرعية، ط1، مكتبة التوبة 2000.

فهرس الموضوعات:

الموضوع	الصفحة
مقدمة	أ
تمهيد	01
الفصل الأول: القرآن الكريم مصدر البحث اللغوي العربي	02
أولاً: مصطلحات و مفاهيم حول القرآن الكريم	03
(القرآن، الذكر، الكتاب، الفرقان)	
1-1- الحكمة من نزول القرآن منجماً	05
1-2- الفرق بين لغة القرآن و لغة العرب	09
1-3- المفردات القرآنية غير العربية	11
(معانيها، و دلالاتها)	
ثانياً: العلوم المستنبطة من القرآن الكريم	14
1-2- علم النحو	15
2-2- علم البلاغة	17
2-3- علم الأصوات	19
الفصل الثاني: نشأة القراءات القرآنية و أهميتها و تطورها	22
أولاً: المقصود بالقراءات القرآنية	27
1-1- أقسام القراءات	28

32.....	1-2- اختلاف اللهجات و تعدد القراءات
33.....	1-3- الفرق بين القرآن و القراءات
35.....	ثانيا: الأحرف السبعة و القراءات المتواترة
36.....	2-1- معنى الأحرف السبعة
39.....	2-2- الظواهر اللغوية في القراءات القرآنية
44.....	2-3- مظاهر تأثير القراءات القرآنية في النحو
47.....	خاتمة
49.....	قائمة المصادر و المراجع
53.....	فهرس الموضوعات